
M.S
نسخة تشويقية
غير مكتملة
محمد حياه
اِعْتَرافَاتُ
جُثَّةٍ!
(السادِيزم)

اعترافات جثة ٢

الساديزم

محمد حياه

نسخة تشويقية غير مكتملة

المقدمة

يوجد أفراد كثيرين يرتكبون جرائمًا وهم يفهمون تمامًا ما يقومون به وعدم قانونيته، ولكنهم غير مصابين بأيةِ مشكلات عقلية واضحة؛ إنهم عقلانيون ومنطقيون، ولا تبدو عليهم أية علامات لأيةِ إعاقة تُعلَم أو أعراض ذهانية.

ويمكن لبعضهم أن يكونوا جذابين في الظاهر، ويتمتعون بقدرٍ كافٍ من الذكاء يجعلهم جديرين بالتصديق عند معرفتهم لأول مرة، إنهم لا يسمعون أصواتًا في رؤوسهم، ولا يظنون أن هناك قوى خارج نطاق سيطرتهم تأمرهم بارتكاب جرائم.

ولكنهم مرارًا وتكرارًا يؤذون الناس ويكذبون دون ندمٍ أو وخز ضمير، ويمكن أن يكونوا عنيفين على نحوٍ غير متوقَّع، ويبدُون غير قادرين على التواصل مع الآخرين بفعاليةٍ على مدار فترةٍ طويلة،

ومن الحتمي تقريبًا أن تشكل الجرائم بمختلِف أشكالها ملمحًا ثابتًا في حياة هؤلاء الأفراد.

من كتاب
علم النفس الشرعي
ديفيد كانتر
أستاذ علم النفس بجامعة هدرسفيلد

الفصل الأول

بث مباشر

٦ ديسمبر ١٩٦٤

حي الزمالك

منزلٌ كبير يتميز أثاثه بالرقي والذوق الرفيع، وكان أكثر ما يُثبت رُقيَّه وجود جهاز التلفاز؛ مما يدل على ثراء أصحاب هذا المنزل بكل تأكيد في هذا العصر، بيتٌ لأسرةٍ صغيرة تتكون من أب وأم وطفلين، يعم الهدوء نسبيًا المنزل إلا من غرفةٍ صغيرة يُسدل الستار على نافذتها محاولًا حجب القليل من أشعة شمس الصباح التي سطعت منذ ساعتين، وبداخلها تقف الأم وهي سيدة في أوائل العشرينات من عمرها تحتضن طفلتها الرضيعة التي تأن وتصرخ دون انقطاعٍ منذ ظلام الليل، طفلة لم

تتعدَ الثلاثة شهور، تهزها قليلًا الأم بكلتا يديها، وهي تجوب الغرفة ذهابًا وإيابًا محاولةً أن تنجح في أن تجعل تلك الرضيعة تغفو حتى ولو بضع دقائق قليلة؛ حتى تستطيع أن تريح جسدها المُنهك وعينيها الذابلتين، واللذان عانا معها منذ منتصف الليل وحتى الآن، ما إن سمعت أنفاس الصغيرة تنتظم ويتوقف أنّها الطفولي الرتيب، فتأملتها بدقةٍ وهي تحاول أن تُصدق عينيها أنها بالفعل غفت ونامت، فوضعتها برفقٍ وحرص شديدين بداخل فراشها الصغير، وتحركت للخلف كلاعبة باليه على أطراف قدميها، وما إن خرجت من الغرفةِ حتى دخل من ورائها طفل كان يراقب ما يحدث من بعيد، كان يختبئ خلف المناشف القطنية المعلقة بجوار باب الحمام المقابل لتلك الغرفة، طفل لا يتعدى عمره الخمس سنوات، عيناه تشعان غضبًا وحقدًا لا يستطيع أن يسترهما، يقترب من فراش تلك الطفلة بخطواتٍ ثابتة، وما إن وصل لفراشها حتى صعد عليه واقفًا بجانبها، يزفر غضبًا وهو يُحدق فيها، دنى منها بخطوةٍ واحدة، ثم رفع قدمه لتعلو فوق وجه تلك الطفلة النائمة، ولكن فجأة يسمع صوت والده ينادي عليه، فيعيد قدمه مرة أخرى وينظر لها نظرةً تفوح بالكرهِ الشديد، ونزل من الفراش وخرج من الغرفةِ مسرعًا متجهًا نحو باب الشقة ليجد والده ينتظره، وما إن يدنو منه حتى ينزل على ركبتيه ويحتضنه بشدة وهو يقول له:

- عامر حبيبي، خلي بالك على نفسك، إنت ابني، ابن سمير المندراوي باشا، وابني هو أحسن ولد في الكون، وطبعًا أحسن ولد في الكون ما يخافش من حد مهما كان.

يمسك وجهه بين راحتيّ يديه وهو يقول بجديةٍ:

- واللي يزعلك بس قولي هو مين، وأنا هاخليك تشوفه قدامك وهو بيتذلل ويبوس رجلك عشان أرحمه بس، وأنا هاسيبك تتفرج عليه كدا لحد ما تقول لي كفاية يا بابا، حبيبي إنت أقوى من أي حد مهما كان مين.

يشير بسبابته محذرًا وهو يقول:

- سامعني! مهما كان مين.

يُقبله والده ويتركه ويرحل وهو يشعر بالسعادةِ والغرور بدرجةٍ كافية ليشبعا غرائزه الصغيرة، ينظر لصورة والده على الحائط بشاربه المنتصب أطرافه والذي يتشبه فيها بشارب جده المتوفى بالصورة التي تعلو صورة والده، بعد لحظاتٍ من التأمل والفخر يقرر أن يفتح الباب صاعدًا الدرج ليصل لسطح المنزل ويتجه بخطواتٍ ثابتة نحو شيءٍ في أحد أركان السطح، رفع غطاءً قماشيًّا ليظهر أسفله صندوق ورقي مقوى صغير مُفرغ سقفه بفتحاتٍ صغيرة، فيمد يده بداخله ويُخرج منه حمامة صغيرة يحتضنها بين راحتيّ يديه، ينظر لها بسعادةٍ وتنير عيناه ببريق الفرحة، يمسكها ويدور بها دورتان حول نفسه، وجناحاها يستسلمان للهواء النابع من دورانه هذا، فتتحرك عظام جناحيها ليداعب الهواء ريشها الصغير، فينتفض من مكانه، ثم يتوقف ويقربها من عينيه مبتسمًا، ثم ينفخ في وجهها نفخة صغيرة دافئة، ومنها يفرد ذراعيه وهو يقذف بها لأعلى، فتطلق جناحيها عاليًا وتبدأ في التحليق للسماء بنشوة الحرية.

ولكن للأسف لم تدم تلك النشوة؛ فقد جذبها للأسفل مرة واحدة بحبلٍ كان في يده يلفه حول إصبعه، حبلًا كان قد عقده من قبل في أسفل قدميها، وبسبب ذلك تسقط الحمامة الصغيرة من أعلى منجذبة بعنفٍ للأسفل، فيصطدم وجهها الصغير بالأرض فتنتهي حياتها بسبب تهشم رأسها، وترقد مكانها دون حراك لتلفظ أنفاسها الأخيرة، فيدنو منها ببطءٍ ويجلس على ركبتيه متأملًا تلك اللحظات وهو يضحك بنشوةٍ وسعادة ومتعة بما أنجزه بتلك اللعبة التي ابتكرها.

****

الوقت الآن الثالثة عصرًا والشمس دفءها أصبح شديدًا وهذه هي عادتها السيئة، فهي تتلذذ بأن تحرقنا أو ترانا ننصهر في مثل هذه الأيام من كل عام، وبداخل مسكن فندقي يمتاز ببعض الرفاهية من الأثاث الحديث على الطراز الأوروبي والأجهزة المنزلية المتطورة وجهاز (التكييف) إله التبريد عند البشر في تلك الأيام، أثاث لمنزل عصري صغير وهادئ كثيرًا، بداخل غرفة الجلوس التي لا يجلس فيها سوى رجل في نهاية الثلاثين من عمره ممتلئ الجسد قليلًا أبيض البشرة، وجهه الدائري يوحي بالبشاشة، عيناه ضيقتان بعض الشيء لكنهما تنمان عن الحدة والصفاء، يرتدي عوينات غامقة اللون بعض الشيء، شعره أسود كثيف يعكر ظلامه خصلات رمادية اللون بالجانب الأيمن من أعلى جبهته، وكأنها جزيرة ثلجية في محيط أسود، يجلس على مقعد جلدي عريض مائل الظهر قليلًا، ويمسك بين يديه كتاب «علم النفس الجنائي»، والذي اجتمع لكتابته ثلاثة من أستاذة علم النفس في الوطن العربي وهم الدكتور محمد شحاتة ربيع والدكتور جمعة سيد يوسف والدكتور معتز سيد عبد الله، وعلى الرغم من أنها ليست المرة الأولى التي يقرأ فيها هذا الكتاب ولكنه يلجأ له كل فترةٍ وأخرى، فقد قرأه

عدة مرات بنسخته العربية والإنجليزية وهو يدرس للحصول على درجة الماجستير من جامعة تكساس.

يجلس بجوار قدميه كلبٌ يمتاز بشعرهِ الذهبي الكثيف، فهو من النوع «جولدن ريتريفر» الإنجليزي الأصلي، يشاهد التلفاز بصوته المنخفض باهتمام شديد، لا يحدث ضجة أو يلهو أو ينبح، وكأنه يعلم أن صديقه الآن يحتَاج للتركيز والهدوء، ولكن لم يطل هذا الهدوء كثيرًا، فلم تمر لحظات حتى اشرأب الكلب بعنقه وتحركت أذناه لأعلى واستند على أقدامه ونهض وهو يزمجر، ثم أطلق لنباحه العنان، مما أزعج صديقه وشتت تركيزه وانتبه له غاضبًا وقال:

- دولسي في إيه؟

لكنه على غير العادة لم يطع نداءه واستمر في نباحِه الذي بدأ يعلو تدريجيًا، فلاحظ صديقه أنه ينبح لشيءٍ يُعرض على شاشة التلفاز، فالتفت نحو شاشة التلفاز ليجد أن القناة التي كانت تعرض الفيلم الذي يتابعه الكلب أصبحت تتلون باللون الأسود دون ذكر سببٍ محدد وهذا ما أثار غضب كلبه، فمد يده وأمسك بجهاز التحكم عن بُعد «الريموت" ليرفع من الصوت قليلًا حتى يُدرك ما يحدث، ليتفاجأ بسماع صوت أنفاس بشرية عالية، ثم فجأة يظهر رجلٌ يجلس على شيءٍ لم يظهر ما هو؛ فعدسة التصوير كان حدود التقاطها منطقة أعلى صدره ورأسه فقط وخلفه ظلامٌ تام، وجه رجل نحيف في أواخر الخمسينات من عمره يفضحه شيبة رأسه، فخصلات شعره البيضاء الجانبية الهاربة من زحف العمر في منتصف رأسه منتجة تلك الصلعة اللامعة، وتحتل الهالات السوداء تحت عينيه الكثير من جانب وجهه فيظهر نحوله من عظام

وجهه البارزة من أسفل جلده الشفاف، نظر مليًا لهذا الوجه وشعر وكأن تلك الملامح يعرفها جيدًا، ولكن الإضاءة الضعيفة والتي مصدرها أسفله، كانت لها عامل كبير في تظليل الكثير من ملامحه، يخرج الرجل بالتلفاز من صمتهِ قائلًا في حزمٍ وثقة:

- أنا عامر سمير المندراوي.

ينظر للشاشةِ في نشوةٍ وتنفرج شفتاه سعادةً، ثم يردفُ بشيءٍ من الملل:

- عارف إنه شيء غريب أو صادم ليكوا إني لسه عايش، يمكن تقولوا عليا إني كذاب أو نصاب، حقكم طبعًا، بس أنا كان هدفي إني أعتذر للناس اللي أذيتهم في حياتي.

اتسعت عيناه ورفع سبابته اليمنى محذرًا، ثم أردف بحدةٍ:

- أعتذر آه لكن بأسلوبي أنا، واعتذاري كان نابع من معرفتي إن اللي بيموت ظلم يُعتبر شهيد ويدخل الجنة، فحبيت أقدم اعتذاري ليهم بإن يتحكم عليهم بالإعدام على جريمة قتلي، وتكون كل الأدلة ضدهم حتى لو أنكروا.

عاد بظهرِه للخلف، وأنارت وجهه ابتسامة أخرى ولكنها أكبر من سابقتها، ثم أردف بفخرٍ وغرور:

- فوجودهم في مكان الجريمة والدوافع اللي قدمتها وبصماتهم على سلاح الجريمة كانوا كفاية قصاد أي إنكار منهم.

ارتفع حاجباه اندهاشًا وأردف قائلًا في سخريةٍ:

- لكنهم فاجئوني بصراحة واعترفوا بالجريمة.

مال برأسهِ وملامحه جاهلة لما يقوله:

- يعني يمكن كانوا فاكرين إن دا شرف نفسهم ينولوه.

ثم أشار بكف يده وقال بثقةٍ:

- وهما يستحقوه بصراحة.

ثم صفق بكفيه ببطءٍ ثلاث مرات وأردف بثقةٍ:

- ودا برضه كنت عامل حسابه ما انكرش لكن مش بنسبة كبيرة.

تنهد مغمضًا عينيه ثم فتحهما والحزن يكسوهما وقال:

- هما دلوقتي في مكان أفضل ليهم، يوم إعدامهم بقى...

توقف شاردًا وكأنه يتذكر شيئًا ما، لتعود ابتسامته للمرةِ الثالثة وهو يردف في نشوةٍ:

- كان أكبر يوم ممتع بالنسبةِ لي، حسيت براحة كبيرة جوايا لإن الدنيا دي جنتي أنا.

عادت حدته وسبابته للتحذير وقال بغضبٍ وغرور:

- أنا بس، جنتي أنا بس مش جنتهم، ومش لازم يكون ليهم مكان فيها.

هنا زفر زفرة طويلة، ثم صمت لحظاتٍ وأردف في هدوءٍ وحزن:

- أتمنى يتقبَّلوا اعتذاري بصدر رحب، آسف يا مراد، آسف يا هيام، آسف يا عبودة، آسف يا خالد، آسف يا عفاف، آسف يا حازم، لازم كلنا يبقى عندنا شجاعة الاعتذار.

بدأ يضحك ثم تعالت ضحكاته وتقهقه، ثم أردف بسعادةٍ:

- أما عن غباء المباحث فدا مش جديد عليهم، وأنا استمتعت جدًّا بالغباء ده، وطريقة حلهم للألغاز اللي كانت تخص المتهمين بقتلي كمذاكرات ليا في صيغة اعتراف؛ ما حبيتش تكون أصعب من كدا أو تخص معلومات عامة لأنها مش هاتفيد في تنفيذ فكرتي، أما عن سبب وجود الألغاز أصلًا وليه ما سبتش الملفات مفتوحة من غير تشفير؟ هو إني حبيت أمارس متعتي معاهم وهما بيتعذبوا في حلها، دي فرصة كبيرة ليا ومش ممكن أفوتها، كنت لازم أستغلها صح، وكنت مستمتع أكتر وهما إزاي قدروا يقفلوا القضية إن عفاف هي المدبرة الرئيسية للجريمة والمخططة لتكوين فريق الاغتيال ده، واقتنعوا إنها غدرت بفريقها في الآخر وخدرتهم عشان يكونوا هما الجناة وتقدر تورثني، بجد مش عارف أوصف لكم كنت سعيد إزاي بغبائهم وكدبهم عليكم اللي استمر لحد دلوقتي.

عادت ملامحه لحدتها مرة أخرى ودنى بوجههِ نحو الأمام وقال مخفضًا صوته قليلًا:

- لكن سبب ظهوري في الفيديو دا والوقت دا بالتحديد هو إني خلال اللي حصل الفترة اللي فاتت اكتشفت حاجات مهمة جدًّا وخطيرة جدًّا ودا هايكون سبب في اغتيالي بجد المرة دي، أنا عارف إنكم مش هاتصدقوني بعد اللي حصل

لكن دي الحقيقة، أنا هاتقتل قريب أوي، وكنت لازم أسجل اعترافي قبل ما أموت وانشره قدام الناس، أنا...

هنا توقف فجأة وسُمع صوت صريرِ بابٍ يفتح خلف الكاميرا، وعيناه تتسعان جحوظًا وفضحت معالم وجهه أنه مندهش من ذلك، ثم تحولت للاستغراب ثم الصدمة، وعيناه تتابعان شيئًا يتقدم نحوه، وفجأة يحدث تشويش طفيف، ويُقطع البث مرة واحدة بعده ويظهر بدلًا عنه مشهد آخر، وينتقل البث من فيديو مسجل لفيديو بث مباشر لمشهدٍ ينم عن محتويات استديو لبرنامج إخباري على ما يتضح من الحائط الخلفي المميز بلوحة خريطة العالم، وفي المنتصف توجد طاولة طولية تنتصف الشاشة بثلاثة مقاعد، مقعد عند رأس الطاولة يكون للمذيع، واثنان كل واحد منهما على جهةٍ مقابلًا للآخر، وهذان يخصان ضيوف الحلقة، ولكن لم ينم عن ظهور هذا المشهد إلا زيادة في نباح الكلب أكثر، والذي اقترب من الشاشةِ بخطواتٍ بطيئة خلف صديقه الذي نهض مفزوعًا من هول ما رآه على الشاشةِ أمامه والتي تضيء في أعلى جانبها اليمين جملة «بث مباشر»، فقد كانت تذيع برنامجًا بدون مذيع ولا ضيوف تقليدين، فعلى الطاولة توجد جثة عارية لرجلٍ نحيل ينتصف الطاولة بشكلٍ طولي ورأسه عند مقعد المذيع برأس الطاولة، ينزف دمًا من أماكن كثيرة بجسده، يتضح من بعيد وجود وشم دموي على زراعه الأيمن والأيسر ما بين الكوع والكتف، ووشم ثالث آخر يوجد أعلى صدره، وعلى بطنه توجد علبة سجائر، وكان ما أثار فزعه أكثر وشهق عند ملاحظته أن الجثة بلا وجه، تم سلخ الوجه بالكامل، لتفضح عضلات وجهه بشاعة المنظر أكثر.

أما على المقاعد الثلاثة فتجلس ثلاث سيدات ينمنَّ ورؤوسهن على سطح الطاولة، يتلوث شعرهن بدماء الجثة، وكل واحدةٍ منهن تمسك في يدها اليمنى مشرطًا طبيًا ملوثًا بالدماء، يستند نصله على نهاية الوشم الدموي الذي يقابلهن من الوشوم الثلاثة، معلنًا أنهن من رسمنَ تلك الوشوم الدموية عن طريق تلك المشارط الطبية الحادة، لحظات مرعبة مرت رغم الصمت المسيطر على الحدث، ثم بدأت السيدة التي تجلس على يمين الشاشة تتحرك ببطءٍ وكأنها تستيقظ، ولكن ما إن رفعت وجهها حتى ازداد المشهد فزعًا فهي كانت ترتدي قناعًا غريبًا؛ قناعًا ليس بلاستيكيًا أو من القماش، لم يكن صناعيًا بالمرة أو طبيعيًا من جلد حيوانٍ ما، بل كان طبيعيًا أكثر من اللازم، فقد كان قناعًا بشريًا، وجه بشري حقيقي يتساقط الدماء من أسفله، ما إن رأت الجثة أمامها حتى قفزت عاليًا للخلف، لتسقط هي والمقعد أرضًا وتعلو صرخاتها وتُلقي بالمشرط الذي كان في يدها بعيدًا، وتزحف للخلفِ رعبًا.

كان لحالةِ الفزع تلك التي انتابتها السبب في إيقاظ السيدتين الأخرتين تباعًا، ليشتد المشهد صعوبة ليكشف عن وجههما الحقيقي المختفي مثل الأولى خلف قناع بشريٍّ لوجهٍ مسلوخ من رأس جثةٍ ما، ولم يكن رد فعلهما مختلفًا عن الأولى، فزعتا وقفزتا ولكن واحدة منهما سقطت مغشيًا عليها.

دنى الرجل أكثر من الشاشة وهو يتابع ما يحدث باهتمام شديد، وسؤالان يدوران في عقلهِ وكلبه يزمجر غضبًا الشاشة، أولهما أي وجهٍ من الثلاثة يخص الجثة النائمة على الطاولةِ والتي سلخ وجهها عن

آخره؟ وثانيهما إذا كان هناك وجه من الثلاثة يخص الجثة فأين الجثتان الأخرتان صاحبتا الوجهين الباقيين؟

******

"قاتلي العزيز حاول ألا تكن غبيًا، فالأغبياء هم فقط ضحايا الحروب»